تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 01 . ص ص: 103 - 117
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

التجارة الخارجية للجزائر أواخر العهد العثماني

Algeria's foreign trade late Ottoman's era 1700-1830

ط /د: عزالدين بلعيدي

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي مرسلي الله تيبازة belaidi.azeddine@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/09، تاريخ القبول: 2023/04/01، تاريخ النشر: 2023/04/30

ملخص:

عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني في تجارتها الخارجية حركة نشيطة تخللتها فترات من الركود، فكانت في فترات الإنتعاش تصدر سلعها المتنوعة من حبوب و خضر و نمور و أصواف و جلود حيوانات و مرجان ومصنوعات، وهذا عن طريق البر عبر القوافل التجارية، وقوافل الحجيج الى إفريقيا من الشمال إلى الجنوب نحو السودان، ومن الغرب إلى الشرق، نحو الحجاز، و أكثر ما تميزت به، هو الطريق البحري، عبر موانئها من الشرق الى الغرب نحو أوروبا، خاصة مع فرنسا و بريطانيا، عبر ميناء الجزائر و وهران وعنابة

أما في فترات التراجع فيقل الإنتاج ويكون موجها للاستهلاك المحلي و بذلك تقل السلع الموجهة للتصدير، أما الواردات فقد تمثلت في الكماليات و البضائع الأساسية في التصنيع، و المتوجات الغذائية وغيرها، أغلبها من الدول الأوروبية، و الملاحظ أن الجزائر في أواخر العهد العثماني ، تخلت عن جزء هام من تجارتها بحكم الامتيازات لصالح الشركات الأجنبية، وهذا ما أدى إلى عجز ميزانها التجاري ومن خلال هذا المقال حاولنا تسليط الضوء حول طبيعة هذه المبادلات التجارية الخارجية و أثرها على اقتصاد الجزائر.

الكلمات المفتاحية: 1- التجارة الخارجية، 2- أيالة الجزائر ، 3- الصادرات و الواردات، 4 - السلع و المنتوجات.

Abstract:

Algeria's late Ottoman era in its foreign trade was a dynamic movement with periods of recession In periods of recovery, they exported their varied grain commodities, greens, tigers and waves. leather, animal, coral, artisan product by road through commercial convoys and pilgrimage convoys to Africa from north to south towards Sudan And from the west to the east, towards Hejaz, the most distinguished of which, is the sea route, through its ports from east to west towards Europe, Especially with France and Britain, most notably the port of Algeria, Oran and Annaba.

In periods of decline, production is reduced and directed to domestic consumption, thereby reducing goods destined for export and imports were luxuries, commodities in manufacturing food and other products, mostly from Europe versus its maritime security in the late Ottoman era, Algeria abandoned an important part of its trade by virtue of concessions in favour of foreign companies, This led to its trade budget deficit, and through this article we tried to shed light on the nature of these foreign trade exchanges.

Keywords: 1- Foreign trade 2- Ayala Algeria 3- Exports and imports. 4- Goods & Products.

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 01 . ص ص: 103 - 117
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

مقدمة :

لعبت التجارة الخارجية لإيالة لجزائر دورا رئيسيا في حوض البحر الأبيض المتوسط، فكانت قوة لايستهان بها بفضل أسطولها البحري، واستطاعت أن تسيطر على طرق الرئيسية لنقل الثروات والسلع، فكان لابد للدول الأوروبية من التودد منها لشراء أمنها و ربط علاقات تجارية معها، وبذلك ظهر التنافس الأوروبي للتقرب من الجزائر من خلال عقد معاهدات سلام وصداقة، و الالتزام بدفع الجزية، ومن جهة أخرى فإن موقع الجزائر الإستراتيجي، و تنوع مناخها ،و تباين تضاريسها و خصوبة تربتها، و وفرة مياهها، أثر على تنوع الإنتاج ووفرته .

كما عرفت البنية الاقتصادية للجزائر في أواخر العهد العثماني على العموم حركة نشيطة وتنوعا في الانتاج، و انعكس ذالك إيجابيا على عملية التصدير و الاستيراد، فكانت الموارد و المنتوجات الجزائرية مطلوبة، خاصة في الأسواق الأوروبية، عبر الموانئ و السفن التجارية، وبذلك ارتفع حجم العائدات، إضافة الى الضرائب التي تدفعها الدول الأوربية في شكل منتوجات وتجهيزات و هدايا، إلا أن التجارة الخارجية لإيالة الجزائر في مطلع القرن 19م، عرفت تراجعا بسبب توسع الامتيازات الاقتصادية، و احتكار الشركات الاجنبية للتجارة الخارجية من جهة، و توتر العلاقات مع دول أوروبا بسبب الجزية والقرصنة كما يصفونها من جهة أخرى ومن هنا نطرح التساؤلات التالية ماهي طبيعة المبادلات التجارية الخارجية للجزائر في أواخر العهد العثماني ؟ وماهي أهم المنتوجات المصدرة و المستوردة ؟ و بماذا تميزت العلاقات التجارية الخارجية لإيالة الجزائر في هذه الفترة؟ .

1- المنتجات الموجهة للتصدير :

أ – المنتجات الفلاحية :

كان لتنوع المناخ و التضاريس وخصوبة التربة، ووفرة المياه، الفضل في تنوع المحاصيل الزراعية، و في هذا الشأن يقول هايدو "...هنالك العدد الذي لا يحصى من الحدائق و بساتين الكروم المملوءة بأشجار البرتقال و أشجار الزيتون، وبالأزهار من كل نوع، وبحنفيات الماء الزلال، الذي يتدفق في كل الجوانب بكثرة قوية..."(وليم سبنير، 2006، ص 136)، ومن أهم المنتجات الزراعية الموجهة للتصدير في هذه الفترة نذكر مايلي :

الحبوب :

كانت زراعة الحبوب بمختلف أنواعها خاصة القمح و الشعير، أساس معيشة السكان وعليه فقد كانت منتشرة في السهول الساحلية و الداخلية و الهضاب العليا، و حسب الظروف اختصت كل منطقة بزراعة نوع معين من المحاصيل فكانت سهول متيجة و قسنطينة وبجاية و عنابة و معسكر وتلمسان والشلف تنتج أفضل أنواع القمح خاصة تلمسان (أرزقي شويتام، 2005-2006، ص 215) ، إضافة إلى اللوبيا و العدس(ابو القاسم سعد الله، 2007، ص 315) الفول الحمص و الخرطال و الذرة (يحي بوعزيز ،2009 ، ص 517)، و قد صنف الأستاذ العربي الزبيري كل هذه المحاصيل ضمن الحبوب لأنها مواد ضرورية للغذاء اليومي (العربي الزبيري، 1972، ص 91)، ويذكر وليام شالر في مذكراته أن قمح الجزائر كان أجود الأنواع المطلوبة في السوق الأوروبية ، فهو ممتاز لصنع المعكرونة و مختلف

أنواع العجائن (وليام شالر، 1982، ص30)، وكان سعر الصاع الواحد بين الريال و الريال ونصف (صالح العنتري ،1974، ص 35) في الأسواق .

الخضر:

تنوعت الخضر فشملت البصل و الثوم و الجزر واللفت، و اللوبياء و الخيار و السلطة، و البطاطا و البذنجان و الكسبر و البسباس، و النعناع و الكرافس و الفول السوداني و التبغ (يحي بوعزيز، 2009، ص 518)، في المناطق الخصبة ذات المياه الوفيرة و في المناطق الداخلية و الجبلية، أما في الجنوب فقد اقتصرت على الواحات، إضافة إلى الخضر الجافة مثل اللوبيا والعدس و الفول و الجلبان و الحمص، في أراضي المنحدرات و الهضاب التي تسقيها مياه الأمطار و من أهم هذه المناطق نذكر الأوراس و منطقة القبائل إضافة إلى السهول الساحلية و الداخلية .

الفواكه :

و منها التين و الزيتون، الكروم، الرمان، التفاح، الخوخ، الإجاص، البرقوق، المشمش، البرتقال، الليمون اللوز و الجوز، الخروب، التين الشوكي، البلوط، التوت (يحي بوعزيز، 2009 ، ص519)و غيرها و قد إعتمدت على طبيعة المناخ الرطب ذو التربة الخصبة، فقدمت إنتاجا وفيرا من أجود الأنواع (وليام شالر، 1982 ص30) المطلوبة في الأسواق الخارجية .

التمور :

إعتمد سكان الجنوب أساسا على التمور كمصدر أساسي للعيش، وكان بمثابة عملة، للتبادل بالسلع و المواد الضرورية (بوعزيز، 2009، ص 520)، فكانت غابات النخيل منتشرة بكثرة في الجنوب، وكانت نوعية التمور جيدة و لذيذة للغاية (شالر ، 1982 ص 30)، وقد ذكر صالح العنتري أن الرطل الواحد من التمور كان سعره ريالين ونصف (العنتري، 1974، ص35).

زيت الزيتون :

كانت أشجار الزيتون من أكثر و أوسع الأشجار انتشارا في الشمال، خاصة في منطقة القبائل و الاوراس و تلمسان، وقد عرفت هذه المناطق إنتاجا وفيرا لزيت الزيتون، ليس هذا فقط بل إن هذه المادة كانت منتشرة في شمال إفريقيا (Joleaud ,1929, p p, 21 36)، و قد كان زيت الزيتون الجزائري رفيع الجودة خاليا من الشوائب، وقد إختار الجزائريون نوعا معينا من الحجارة لبناء معاصر زيت الزيتون و التي تشتغل بالمياه أو الرياح (الميلي، 2001، ص 312) عكس ذلك مدى تطور وأزدهار هذه الصناعة، وعلى الجانب الأخر فإن زيت الزيتون كان يصدر بكميات قليلة نظر لتوفره في إسبانيا وإيطاليا و شمال أفريقيا، لذلك لم يعتني به مؤرخو التجارة الخارجية (الزبيري، 1972، ص 102) وقد ذكر شالر في مذكراته ان تصدير زيت الزيتون كان ممنوعا قانونيا، إلا ما يرسل الى السلطان وديوانه (شالر ،1982، 101).

ب – المنتجات الحيوانية :

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 01 . ص ص: 103 - 117
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

إهتم المجتمع الجزائري بتربية مختلف أنواع الحيوانات و منها، الضأن، الماعز، الأبقار، الخيول ، البغال، الحمي ، الإبل، الطيور، النعام، وقد إزدهرت في مختلف مناطق البلاد من الساحل الى المناطق السهبية و الهضاب العليا، حتى المناطق الجبلية الصعبة، أما الإبل و الجمال فقد كانت تربيتها منتشرة في الجنوب و الواحات الصحراوية، وسميت بسفن الصحراء لأنها أهم وسيلة للنقل بحكم طبيعة خلقها و قدرة تحملها للعطش و الحرارة، و الشحن و النقل (بزعزيز، 2009، ص 520) .

قدم السيد نوشي إحصائيات صرح فيها وجود عدة ملايين من مختلف أنواع الحيوانات ما بين منطقة سور الغزلان غربا و الحدود التونسية شرقا وجبال البابور شمالا و الاوراس و أولاد نايل و جبال عمور جنوبا ، و هي تشغل عددا كبيرا من السكان و تقوم عليها الصناعات الأساسية كالحرث و الزرع و السقي و النسيج و الجلود و الصباغة و الصناعات الغذائية مثل الأجبان و الزيوت و الزبدة (بوعزيز، 2009، ص 521) و غيرها .

لقد أستغل سكان البدو كل ماتنتجه الحيوانات من ألبان و لحوم و شحوم وأصواف و جلود و سمن و شعر ، كما استغلت الأبقار و البغال في الحرث، و الحمير و الأحصنة و الجمال في النقل و الحمل و الركوب وقد أشار حمدان خوجة أن سكان السهول أحبو الخيل كثيرا و سعوا إلى مضاعفة أعدادها خاصة الأصيلة منها، أما الباقي فقد استخدمت في النقل و الحرث (شويتام، 2006، ص 215)

اعتبرت تربية المواشي من أهم مصادر عيش الفلاحين، خاصة في مناطق ضيق المساحة الزراعية (رحموني، 2015، ص 135)، أما الفائض منها فكان يوجه للتصدير بحرا أو عن طريق القوافل البرية.

العسل :

إن تربية النحل وإنتاج العسل عرف رواجا و انتشارا خلال الفترة العثمانية في الجزائر، خاصة في الشرق الجزائري و منطقة القبائل الكبرى، وكان يباع في الأسواق الداخلية ،و يوجه للتجارة الخارجية ، فكان التجار الفرنسيون يقومون بشراء هذه المادة الحيوية من أجل تسويقها في أوروبا وفرنسا، فعرفت تربية النحل و إنتاج العسل تطورا كبيرا واهتماما من طرف السكان خاصة خلال فترة الاحتلال الفرنسي (عباس، 2022، ص 927)

ج - المواد الأولية :

الخشب :

عرفت الجزائر غطاءا غابيا كثيفا و متنوعا من بيجاية حتى القل، سمح ذلك بتوفر مادة الخشب (رحموني، 2015، ص139) ومن أهم الأشجار التي استغلت أخشابها نذكر البلوط، الزان، الزيتون، الفرنان، العرعار، الصنوبر، الزبوج، والأرز(بوعزيز، 2009، ص 522) بالإضافة الى خشب الكراستة الموجود في منطقة القبائل الشرقية الذي كان مخصصا لصناعة السفن (L ch feraud , p 378).

الصوف :

كتب أحمد باي في مذكراته " ....إن كل ثرواتنا تتمثل في القموح و الأصواف التي نبيعها في ميناء عنابة " (الزبيري، 1972، ص 101)، فكانت هذه المادة مصدر ربح كبير وذلك لتنوع الثروة الحيوانية من أغنام و ماعز و أبل و غيرها، وبتطور هذه الصناعة ارتفعت كمية الطلب و الاستهلاك عليها ، وعلى سبيل الذكر فإن ميناء عنابة وحده في أواخر القرن الثامن عشر كان يصدر إلى مرسيليا 28 ألف قنطار سنويا، إلا أنه لم يكن يصدر منه إلا الفائض، وقد

كان من المواد التي تحتكر تجارتها الشركات الأجنبية مثل الشركة الملكية الإفريقية بمقتضى الامتيازات، و الملاحظ أيضا أن إنتاج الصوف لم يكن منتظما فتارة وفير و أخري ضعيف لا يلبي حاجة الاستهلاك المحلي ، كما كان يتم التفاوض على الصوف مع الباي من حيث الأسعار مثل القمح ، وهذا ما أشارت إليه الرسالة التي بعثها صالح باي إلى مدير البيستيون جاء فيها "..و ما عرفتمونا من أمر الصوف، وأن مرادكم ننقص لكم ريال كما قلتم لنا سابقا ..و إن كنتم...تأتوننا يعمل الله تعالى طريقا." (لعريبي، 2012، ص 81).

وقد ذكر وليام شالر في مذكراته قائلا "...لقد كان نسج الصوف شائعا في كل عائلة في المملكة و لو أنه جرى بطرق بدائية، والإنتاج عادة يستعمل لاستهلاك أفراد العائلة و لكننا نجد مصانع في جميع المدن و جميع القرى الكبيرة لنسج الصوف (شالر،1982، ص 94).

الشموع :

إعتمد إنتاج الشموع على بقايا الزيتون المعصور و شمع العسل المصفى(بوعزيز، 2009، ص 524)، وقد نشطت تجارتها في فصل الربيع خاصة في الشرق الجزائري التي كانت أكثر المناطق إنتاجا له، فكانت تباع إلى المؤسسات الفرنسية أو تصدر إلى تونس، وكانت المناطق الساحلية من الحدود المغربية إلى رأس فلكون تنتج الشمع (سعد الله، محاضرات ...، 1982، ص 151)، ورغم أن فرنسا عرفت المصابيح في الإنارة و مالت الى إهمال الشموع إلا أنها سعت إلى احتكار تجارتها لتصديرها في الأسواق العالمية، وتشير الإحصائيات أن المؤسسات الفرنسية كانت تستورد من الشرق الجزائري سنويا حوالي 880 قنطار(الزبيري، 1972، ص 100) و400 قنطار من مدينة الجزائر، و كل هذه الكمية تحتكر شراءها شركة الدار الفرنسية (حليمي، 1972، ص 306)، وبقي الأمر على هذا الحال إلى غاية إعلان الحصار على مدينة الجزائر.

الجلود :

تشير المصادر التاريخية الى ازدهار تجارة الجلود وصناعتها لوفرة الثروة الحيوانية و المراعي التي تكثر فيها مختلف أنواع المواشي خاصة البقر، إضافة الى الجلود التي تحصلوا عليها من الغنائم البحرية، وقد كانت هذه الصناعة مهيكلة فالأسعار تحدد في فندق الجلد، أما الحرفة فيشرف عليها أمين الدباغين

وقد صرح وليام شالر في هذا الصدد مايلي "...و الجلود المدبوغة على الطريقة المغربية تبدو في هذا البلد قريبة من درجة الكمال ..."(شالر، 1982، ص 94) .

كانت الجلود أهم الصادرات وزنا وقيمة بعد القمح و الأصواف في الجزائر، وقد كانت هذه التجارة حكرا على وكيل الخرج مقابل 10 ألاف قرش يدفعها للداي شهريا، و يشتري الجلود من أصحابها بقيمة ثمانية موزونات للجلد الواحد من الأبقار ليبيعها بحوالي 30موزونة لدار لشركة الفرنسية بالجزائر و التي كانت تصدر منها سنويا نحو مرسيليا 25 ألف قطعة، أي ما يقارب مئة ألف جنيه إسترليني (حليمي، 1972، ص 306).

أستحوذ اليهود أيضا على تجارة الجلود، فكانوا يرسلونها إلى المدابغ الفرنسية و الإيطالية وهي معامل تشغل عدد من اليد العاملة مثل اللانكدوك و البروفانس(الزبيري، 1972، ص 99).

المرجان :

يعتبر المرجان من الثروات البحرية التي مثلت فرعا أساسيا في التجارة الدولية أواخر العهد العثماني والملاحظ أنه حظي باهتمام الأوروبيين من الفرنسيين و البريطانيين و الإيطاليين و السردينيين و الجنوبيين وغيرهم (غطاس، 1985، ص105)، وقد كان صيد المرجان في سواحل شرق البلد (شالر، 1982، ص 101)، وهي من أغنى المناطق التي تزخر بهذه الثروة ويتم صيده في السواحل الممتدة مابين عنابة و القالة ، ثم امتد إلى بيجاية نهاية القرن 18م(الزبيري، 1972، ص 87)، في سنة 1535 م سمح السلطان العثماني للفرنسيين بصيد المرجان و الأسماك في الجزائر و تونس ، وبموجب ذلك حصلت مرسيليا على نشاط تجاري مربح و مميز بفضل الامتيازات الإفريقية

المستغلة من طرف الشركة الملكية الإفريقية، وقد شمل نشاطها أساسا على التجارة الخارجية و صيد المرجان (قدور، 2007، ص269).

إعتبر المرجان عملة للتداول في المبادلات التجارية للحصول على منتجات أخرى مثل التوابل و الحديد و غيرها، أما عن فترة صيده فهي من شهر مارس إلى سبتمبر لهدوء البحر، وقد قدرت الكمية المستخرجة سنويا بحوالي 1000 قنطار (غطاس، 1985،ص106)، في تقرير كتبه السيد فريزر القنصل البريطاني في الجزائر بتاريخ 19 فبراير 1768، أشار أنه كان للفرنسيين امتيازات واسعة لصيد المرجان وغيره في الجزائر، ومقابل ذلك يدفع الفرنسيون ضريبة سنوية الى داي الجزائر (سعد الله،2007ص، 315).

كانت الشركة الملكية الإفريقية تستعمل من أربعين إلى خمسين مركبا و تستخرج مابين 100 و 120 صندوق، يزن الصندوق مابين 150 و 200 رطل وقد ذكرت الشركة نفسها أن مرجان الجزائر كان أفضل أنواع المرجان من حيث اللون و الجودة (الزبيري، 1972، ص 87)، أما الجزائر فإن نصيبها من المرجان لم يتجاوز الصندوقين اللذين يدفعان إلى الداي سنويا (الزبيري، 1972، ص 91).

د - الحرف و الصناعات التقليدية

يقول حمدان خوجة في كتابه المرآة عن سكان الجزائر أنهم صناعيون وتجار (خوجة، المرآة، 2007، ص 101 102)، كما تحكمت في الحرف و الصناعات التقليدية عدة عوامل اقتصادية و اجتماعية، كالطلب عليها في الأسواق ورواج تجارتها وعائداتها الوفيرة على صناعها، فتنوعت الحرف فشهدت القائمة 99 حرفة اشتملت على أغلب ما تحتاجه المدن من منتوجات وخدمات مختلفة، ويمكننا تصنيف هذه البضائع من حيث مجموعها كالأتي (غطاس، الحرف...، 2001،ص 154 155)

حرف إنتاجية

حرف خدماتية

حرف تخص التجارة و التسويق

صنفها الأستاذ يحي بوعزيز في المرتبة الثالثة بعد الفلاحة و تربية الحيوانات، تشغل أكثر من 5 بالمئة من نشاط السكان(بوعزيز، 2009، ص 521)، ومن أهم الحرف و الصناعات نذكر:

الصناعة النسيجية :

احتلت هذه الصناعة الصدارة و تنتج الألبسة و الزرابي و الحايك و البرانيس و القماش و الأغطية

و غيرها وذكر السيد فونتور دو بارادي (venture de paradis) أنه كان يتم إنتاج الحايك و هو لباس خاص بالنساء بكميات كبيرة و يتم تصديره إلى المشرق عبر مدينة الجزائر ، وأشتهر في الغرب إنتاج الحرير و البرنوس الأسود المميز (مشرفي، 2018، ص 24)، بالإضافة إلى الشاشية التي أشار إليها السيد v.paradis أنها كانت تنتج بمختلف الأحجام و الألوان (venture de paradis, 1898,p 16)، بالإضافة إلى الأحزمة الصوفية و الحريرية و الأغطية و الحنبل الملون ، ونظرا لتوفر مادة الصوف فقد عرفت هذه الحرفة انتشارا واسعا من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب، فتنوع الإنتاج من حايك ورقلي و تلمساني، زربية صحراوية و برانيس قبايلية و برانيس معسكر السوداء الشهيرة (دلباز، 2014، ث 156) السالفة الذكر.

صناعة الجلود :

كان يصنع من مادة الجلد الأحذية و النعال بمختلف أنواعها و ألوانها و القرب ، ونظرا لاهتمامهم بالخيول اهتموا بصناعة السروج و الألجمة و لوازم الخيول ، إضافة إلى السلع التي كان يشتريها البايلك من الحرفيين لإحتياجات قواته العسكرية و سجناء البايلك (دلباز، 2014، ص 152)، كما شملت هذه الصناعة حافظات النقود و السيوف و السكاكين و الألبسة الواقية من سلاح الحرب و الأشواك في الحصاد و الدرس، و الطرز بالخيوط الجلدية المدبوغة و المصنوعة، و الفائض من هذه مصنوعات فكانت موجة للسوق الخارجية خاصة عبر الجنوب والى الدول المجاورة عن طريق القوافل البرية، و قد انتشرت هذه الصناعة في القرى و المدن العمرانية الكبيرة مثل قسنطينة التي كان بها 33 مصنع للجلد و 75 مصنع للسروج و 167 مصنع للأحذية، أما في الجنوب فقد انتشرت في الواحات (بوعزيز، 2009، ص 521 522)، فكان الوبر و جلد الإبل مادة أساسية في صنع القشابية .

صناعة الحديد و النحاس:

شهدت بعض التقدم فكان بنو عباس وبنو يني و فليسة يصنعون السيوف و المكاحل والمدافع أيضا وحتى النقود المزورة، ويعرفون طرق استخراج الحديد من الأرض (سعد الله، محاضرات ..، 1982، ص 153)، وبرعوا في التلحيم و صناعة الأدوات الحديدية، فينتجون الأمواس و الفؤوس و القادوم و القدور و الأباريق و المناجل و المذرات و المسامير و الأقفال و الألجمة، و السلاسل و الشبابيك و الأبواب و الدروع و القضبان و الرصاص و حاجيات أخرى مطلوبة، ويلحق بالصناعة الحديدية تلحيم الأدوات المكسورة و المعطوبة و تذويب الرصاص و صناعته (بوعزيز، 2009، ص 523).

كان الفحم الحجري يستخدم لتذويب هذه المعادن، وقد برعت كل منطقة في صناعة معينة مثل السكين البوسعادي، كما اشتهرت قرية الماين بصناعة الفؤوس و القادومات و السكاكين و المسامير و التلحيم و تسمير الدواب، أما بنو سليمان في جرجرة فقد اختصوا في استخراج معادن الحديد و تصفيتها وبنو بوهالي في معالجة الحديد و تكييفه و صقله(بوعزيز، 2009، ص 523)، وكذلك النحاس حيث شملت صناعته الأطباق و الصحون و المقالي و الملاعق و الحلي من خواتيم وقلائد.

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 01 . ص ص: 103 - 117
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

كما برع سكان منطقة القبائل في صنع البارود و الذخيرة و الأدوات الفلاحية كالمحراث وكانت تباع لسكان السهول، اما مادة الكبريت فكانت تجلب من مدينة الجزائر مقابل الرشاوي و استعمال الحيل لأنها مادة إستراتيجية أساسية لصناعة الأسلحة (شويتام، 2006، ص 226)، و قد ذكر أحد الرحالة أن هناك مصنعا للبارود تشرف عليه الحكومة بمدينة قسنطينة قرب القصبة يعمل به عشرون عاملا لا تقل أهميته الحربية عن فن تذويب الحديد الذي يقوم الأسرى المسيحيين في باب الواد بمحاذاة أسوار مدينة الجزائر (سعيدوني، دس، ص 34 35)، و الملاحظ في هذه الصناعة المعدنية، أنها لم تشهد تطورا ملموسا فكانت تصديرها بكميات قليلة .

بالإضافة إلى صناعات أخرى كإستخراج الملح من سباخ وهران و معالجة الجير المستخرج من المحاجر الموجودة قرب المدن، و بناء السفن بالموانئ الرئيسية و سبك المدافع في قسنطينة والجزائر(سعيدوني، دس، ص 34)، و صناعة الفخار و الخشب، و صناعة الحلي الفضية و الذهبية و صناعة الشموع و الصابون، وصناعة الأرحية و أدوات القصب و صناعة الكحل و السخاب لزينة النساء، فكان لمنتجات هذه الصناعات مكان خاص في القوافل التجارية مع دول إفريقيا جنوب الصحراء(بوعزيز، 2009، ص 526)، و الجدول التالي يمثل :

البضائع المصدّرة	الوزن بالقناطير	القيمة بالدولار الأسباني
الأصواف	20.000	160.000
الجلود	10.000	80.000
الشمع	600	18000
بضائع أخرى		15000
المجموع		273.000

الصادرات وقيمتها من مدينة الجزائر إلى موانئ مارسيليا، ليفورنة، جنوة (شالر، 1982، ص 103)

2- واردات أيالة الجزائر:

إن الإحصائيات التي وفرتها المراجع فيما يخص الواردات قليلة حيث أشار لها سعد الله بشكل سطحي، في شكل سلع كمالية مثل الأثاث الفاخر، الثريات، الأقمشة الحريرية و الصوفية و الملابس الفاخرة و مايستغل في الصناعات المحلية (غطاس، 1985، ص 126)، إضافة إلى البضائع الأساسية لصناعة السفن كالحبال و الحديد و الأخشاب، و الذخيرة الحربية من قذائف و بارود و فولاذ و مدافع و أسلحة متنوعة و حتى السفن أحيانا ، ويتم استيراد هذه السلع من بلدان اروبا الشمالية مثل بريطانيا السويد هولندا، إضافة الولايات المتحدة الأمريكية مقابل أمنها (حليمي، 1972، ص 305)، ومن أهم المواد الاستهلاكية المستورة نذكر القهوة و السكر، الجبن و العسل، البندق و الفواكه المجففة، القسطل و الصابون و الورق (غطاس، 1985، ص 127)، يتم جلبها من أوروبا، وعموما فإن تصنيف الواردات كان مقسما إلى ثلاثة أصناف كالتالي :

مواد أولية مثل الحديد و الرصاص وقد بلغت قيمتها خلال عشر سنوات ما يعادل 185 فرنك فرنسي وهو مبلغ زهيد

المواد المصنوعة مثل الأقمشة والكتان و الحلي و الخردوات و الورق و التي بلغت قيمتها في ظرف عشر سنوات 61.500 فرنك .

المواد الغذائية مثل التوابل ، البن و السكر وهي موجهة للاستعمال اليومي، فقد كان يستورد من الشرق فقط ما قيمته 3285 فرنك أي ما يعادل مقدار 15 طن من القمح (الزبيري، 1972، ص 102)

ومن خلال هذه الأرقام نلاحظ أن نسبة الاستيراد كانت قليلة من أوروبا مقارنة بما تصدره، وق كان التجار الأهالي يفضلون اللجوء الى دول الجوار لشراء ما يحتاجونه من مواد أوروبية وغيرها أو لإعادة تسويقها في إفريقيا و جنوب الصحراء (الزبيري، 1972، ص 103).

أما القوافل البرية فقد كان لها دور أساسي في تزويد أهالي الجزائر بما يحتاجونه من سلع مختلفة المنشأ و النوع و التي كانت تأتي من الجنوب، وكانت القوافل تنطلق من الشمال إلى الجنوب يتولى حراستها كل من قبائل الطوارق والخنافسة و من أهم المواد المستوردة من إفريقيا نجد التبر، العبيد و ريش النعام وجلود البقر الوحشي و العاج و البخور الأعشاب الطبية و غيرها (شويتام، 2006، ص241)، بالإضافة إلى الطرق البرية نحو تونس وطرابلس الغرب و الحجاز، وتستورد الحناء وحجر الشب و الملح و البارود و الزعفران و الشواشي (الزبيري، 1972، ص 103)، و الجدولين التاليين يمثلان مايلي :

منطقة الاستيراد	البضائع	القيمة بالدولار الأسباني
بريطانيا	مواد مصنعة انجليزية وهندية	500.000
اسبانيا	حرير وتوابل، مصنوعات ألمانية وانجليزية	200.000
فرنسا	توابل، سكر، فولاذ، أقمشة، منوعات الحرير و مواد أخرى	100.000
الشرق الأوسط	حرير خام، مواد مصنوعة	100.000
إيطاليا	حلي، جواهر، مواد أخرى	1200.000

الواردات وقيمتها إلى مدينة الجزائر سنة 1822(شالر،1982، ص 102)

منطقة الاستيراد	قيمة الاستيراد
مارسيليا	800.000 جنيه استرليني
ليفورنة	1000.000 جنيه استرليني
الشرق الأوسط	200.000 جنيه استرليني

قيمة الواردات ف يأواخر القرن الثامن عشر: سنة 1789 (venture de paradis, 1898,p 68)

3 – العلاقات التجارية الخارجية لإيالة الجزائر

أ – أهم الموانئ :

أستطاع الأسطول البحري الجزائر في العهد العثماني، أن يفرض سيادته على حوض المتوسط ، وإن دل هذا على شيء فإنه حتما يدل على قوة الأسطول و تجهيزاته و موانئه المنتشرة في السواحل من الشرق الى الغرب، فكانت الموانئ محطات هامة للرسو و الاستعداد و النقل و التجارة و التجهيز و البناء و التصليح ، وبذلك سيطرت الجزائر على المبادلات التجارية وطرقها البحرية ومن أهم هذه الموانئ نذكر:

- المرسى الكبير في وهران والذي يعد من أكبر الموانئ و أهمها وقد ذكر الوزان أنه أكبر الموانئ التي رأها في حياته ترسو فيه مئات السفن و المراكب الحربية ، وهو في مأمن من الرياح والعواصف(الوزان، 1983، ص 31).
- ميناء الجزائر و هو أهم الموانئ الاستراتيجية و التجارية للإيالة الجزائرية فكان الميناء الرئيسي ومركز النشاط الاقتصادي (سبنسر، 2006، ص 140) تحيط به مراسي لتخفيف الضغط في كل من بومرداس سيدي فرج وغيرهما
- ميناء عنابة الذي كان فيه ثلاث مراسي وهي رأس الحمام، الخروبة وحصن الجنوبيين وهو من أهم موانئ الشرق التي أزدهرت تجارته منذ القرن 15 م(الزبيري، 1972، ص 66).

- وهنالك موانئ أخرى صغيرة الحجم لكن أهميتها الاقتصادية و التجارية كانت بارزة، مثل ميناء ستورا بسكيكدة، ميناء القالة، ميناء جيجل، ميناء أرزيو و مستغانم و شرشال .

ب - الطرق التجارية البحرية مع الدول الأوروبية

- أشرنا فيما سبق إلى أهم الموانئ التجارية لإيالة الجزائر، فكانت غالبية المبادلات التجارية تتم مع فرنسا التي كانت من أوائل الدول التي تربطها علاقات تجارية مع الجزائر، إذ يرجع تاريخ وجودها الى أول قنصل فرنسي في الجزائر خلال القرن 14م أيام الحفصيين(شويتام،2006، ص 247)، ثم سارعت الدول الأوروبية الأخرى الى ربط علاقات تجارية مع الجزائر لتحقيق مصالحها، مثل بريطانيا أسبانيا هولندا البرتغال السويد إيطاليا سردينيا وغيرها (حليمي، 1972، ص 305)، ومن أهم الدول التي كانت لها امتيازات و علاقات تجارية قوية مع الجزائر:

فرنسا :

عرفت المبادلات التجارية بين الجزائر و الشركات التجارية الفرنسية تطورا ملحوظا، فكانت تصدر المرجان والحبوب، والصوف، والجلود، والحيوانات، والشمع، والزيت و الأقمشة، و المواد الغذائية و المصنوعات الأوروبية ، وكان المستفيد الأكبر هو فرنسا لما حققته من أرباح كبيرة، مقارنة بالأسعار المنخفضة التي كانت تدفعها مقابل الحصول على الإنتاج المحلي، في حين كان المصنوعات الأوربية تباع بأثمان باهظة في الأسواق المحلية (شويتام، 2006، ص248)، والملاحظ أن الجزائر تخلت عند جزء مهم من تجارتها الخارجية لصالح الشركات التجارية اليهودية المسيطرة على الحبوب و الجلود و الشركات الفرنسية المسيطرة على المرجان و مواد أخرى، و أهم الموانئ الفرنسية التي كانت توجه لها السلع و المنتجات الجزائرية، نجد ميناء مرسيليا الذي احتكر تجارة المشرق والمغرب، و ميناء طولون الذي كان منافسا لميناء مرسيليا، فقد كان يغذي حركة التصنيع في اروبا، وميناء كاسيس، وميناء سيوتات(غطاس، 1985، ص104).

بريطانيا

كانت العلاقات التجارية بين الجزائر و بريطانيا على العموم ودية تخللتها فترات من التوتر، حيث استفادت بريطانيا سنة 1806 على امتياز صيد المرجان وتجارة الحبوب ومتنوجات أخرى، وهو نفس الامتياز الذي تمتعت به فرنسا، كما تم الاعتماد القوة البحرية و على المعاهدات و تبادل الهدايا الثمينة و البعثات(شرشل، 1974، ص 10)، لحفظ السلام والتي لم تتضمن دفع الإتاوات، ومن أهم السلع المتبادلة بين البلدين نذكر الحبوب و المرجان و الأصواف والجلود، و الحديد و الأسلحة والحيوانات وغيرها .

الولايات المتحدة الأمريكية

كانت الجزائر من الدول الأوائل التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت أولى العلاقات بين البلدين سنة 1791 في عقد معاهدة سلم وصداقة، والتي نصت على دفع مبالغ مالية كبيرة للضريبة السنوية، إضافة الى ما تم الاتفاق عليه لتحرير الأسرى الأمريكان، حيث تدفع سنويا على شكل تجهيزات بحرية وعتاد حربي، وقد ذكر وليام شالر انه حينما ازدهرت التجارة الأمريكية زادت مطالب الجزائر وتنوعت، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة للاستجابة، تجنبا لانقطاع العلاقات التي تسبب لها خسائر فادحة وفقدانا لسمعتها (شالر، 1982، ص 131) .

إضافة الى العلاقات التجارية مع الإمارات الإيطالية و الاسبانية، فنشطت الحركة التجارية مع مالطا وسردينيا و ليفورنه وتمثلت في جلب الاجواخ ،و الشراشف، و الأقمشة الحريرية، و القهوة المجلوبة من أمريكا، و السكر و التوابل و الخردوات، و الحلي والرخام، و القرنفل(venture, 1898, 293)، وإرسال القمح لصناعة العجائن و البسكويت، وريش النعام (الزبيري، 1972، 143)، أما مع دول أوروبا الشمالية، فقد تعاملت مع هولندا، و السويد، والدنمارك، فتستورد الصواري، و الحبال، و البارود و الأخشاب، وتصدر لها المواد الأساسية، و الجدول التالي يمثل

الصادرات	الواردات
الأصواف	-المنسوجات المطرزة
الجلود	-التوابل
الشمع	-صفائح الحديد والنحاس
ريش النعام	-والرصاص والقصدير
النحاس	-الفضة والكبريت والأفيون والشب
الزرابي المناديل المطرزة	-دود الحرير ، القطن ، الزنجفير
الحزم الحريرية	-الأرز والسكر والفواكه المجففة والجوز
التمور	-العطور والأمشاط
العبيد	-الورق والصابون والصمغ
	-الزنجفير
	-القطن

بعض الصادرات الواردات للجزائر من الدول الأوروبية و الولايات المتحدة الأمريكية: (شويتام، 2006، 249)

ج – الطرق التجارية البرية مع الدول الأفريقية و الإسلامية

كانت التجارية البرية بين إيالة الجزائر و البلدان المجاورة تزود السكان بكل السلع و المنتوجات الضرورية كما اعتبرت مصدر رزق لعدد كبير من القبائل و القرى ، ويمكننا تقسيمها إلى قسمين وهما

- الطرق المتجهة من الشمال إلى الجنوب وهي بين مدن الشمال وبلاد السودان ، وأهم طرقها

- طريق الغرب من مدينة وهران وارزيو نحو تومبوكتو عبر الخيثر، مشرية، عين الصفرة، و فجيج، أو عبر الخيثر، البيض الأبيض سيدي الشيخ، و توات .
- طريق الوسط من مدينة الجزائر الى تومبوكتو عبر القليعة، البليدة، بوغار، الاغواط، التوات ،و عين صالح.
- طريق الشرق من مدينة سكيكدة نحو تومبوكتو عبر قسنطينة، باتنة، بسكرة، تقرت، ورقلة ثم الى الجنوب عبر واد سوف الى غدامس، وغات أو من البيوض الى عين صالح.

- الطرق المتجهة نحو الشرق و الغرب بين الجزائر و تونس وطرابلس الى مصر نحو المشرق، وبين الجزائر و مراكش، وأهم محطاتها

- طريق مراكش، فاس، تلمسان ،وهران، الجزائر، سطيف، قسنطينة، الكاف، تونس و طرابلس الغرب و القاهرة و منها الى المشرق .

-طريق تافيلالت، بشار، توات، عين صالح، إلى الخرطوم .

بالإضافة إلى قوافل الحجيج المتجهة نحو الحجاز مرورا بالإسكندرية وبلاد الشام، فكانت تنطلق القافلة من تازا بالمغرب الأقصى مرورا بالجزائر و تونس وطرابلس، تم مصر لتصل إلى مكة أين تتم المبادلات التجارية، وكان تجار المغرب يجلبون حرير دمشق و قطن مصر و السجاد الفارسي و الأقمشة المطرزة (شويتام،2006، 245).

و الملاحظ أن العلاقات التجارية للحكومة العثمانية كانت هشة و ضعيفة مع قبائل المناطق الداخلية و الجنوبية باستثناء قبائل بسكرة و واد ميزاب، التي كانت السبب في إرساء تجارة البر نحو الجنوب (بيبراوات، 2008، ص 17) .

خاتمة:

ان طبيعة التجارة الخارجية للجزائر في أواخر العهد العثماني كانت مبنية على عدة أسس ثابتة و متغيرة، كقوة الأسطول البحري ، و الموقع الاستراتيجي الهام، و تنوع المناخ، وتباين التضاريس، و وفرة المواد الأولية، و تنوع الإنتاج الزراعي والحيواني و الصناعي، و تسابق الدول الأوروبية إلى التقرب من الجزائر وكسب مودتها، أدى ذلك إلى تأسيس علاقات تجارية خارج الحدود، إضافة إلى أهمية المبادلات التجارية مع الأقطار المغاربية و السودان الغربي رغم تواضعه في تزويد السكان السهوب و الصحراء بالسلع الأوروبية و عموما فإن نظام المقايضة وعدم وجود عملة متداولة أثر سلبا على التجارة عبر البر.

كما يجب الإشارة الى التراجع الكبير للتجارة الخارجية، و عجز كبير في ميزانها التجاري سببه الامتيازات الممنوحة للدول الاروبية في الجزائر من طرف الدولة العثمانية، احتكار الشركات الأجنبية لثروات و موارد البلاد و استنزافها فاشتد التنافس و توترت العلاقات الخارجية كما ساهم التجار اليهود في تدهور الأوضاع الاقتصادية وكانوا وراء كل التوترات بين الجزائر و الدول الاروبية (شويتام، دس، 117)، أما عائدات التجارة الخارجية فكانت تصرف في الترف و شراء المناصب و دفع أجور الجند وليس للاستثمار أو التنمية ، وبذلك قلت المداخيل فلجأت الدولة الى رفع قيمة الضرائب على السكان و الرسوم الجمركية على التجار، لتعويض النقص ، والذي أدي الى تأزم الأوضاع الداخلية.

6 قائمة المراجع

* وليم سبنير، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تقديم عبد القادر زبادية ،دار القصبة للنشر، 2006
2 أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519 1- 1830 ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005-2006
3 ابو القاسم سعد الله ، أراء و أبحاث في تاريخ الجزائر ،الجزء الثاني ،دار البصائر، الجزائر ،2007 ،
4 يحي بوعزيز، قضايا و موضوعات في تاريخ الجزائر و العرب ، الجزء الاول ، دار الهدى ، الجزائر ،2009
5 العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1972 ،
6 وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب و تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982
7 صالح العنتري ، مجاعات قسنطينة ، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش و ن ت ، الجزائر، 1974، ص 35
8 مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، الجزء 4، دار الكتاب العربي ، طبعة 2001
9 رحموني عبد الجليل ، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية ، ماجستير، جامعة جيلالي لياس ،سيدي بلعباس ،2014 2015
10 حورية عباس ، الإنتاج الحيواني في المستعمرة و مساهمته في التجارة الخارجية مع فرنسا خلال الفترة 1870-1914 ، المجلة التاريخية الجزائرية ، مج 06 ،ع01 ، الجزائر ،2022 13 لعريبي أسمهان، التجارة الخارجية لمدينة عنابة خلال العهد العثماني (ق18)، مجلة العلوم الإنسانية، م 1، ع 2 ،2012
11 عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 م ، ط 1 ، 1972
12 عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17 ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ،1984 1985
13 قدور عبد المجيد ، النشاط الاقتصادي الفرنسي في الجزائر و تونس خلال العهد العثماني ، مجلة العلوم الإنسانية ، مجلد أ ، عدد 12 ، 2007 ،
14 حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ،تقديم و تعريب العربي الزبيري ، وزارة الثقافة ،2007
15 عائشة غطاس ، الحرف و الحرفيون يمدينة الجزائر 1700-1830 ، أطروحة دكتوراه دوله ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ ، 2000-2001
16 جميلة مشرفي ، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات ، أطروحة دكتوراه ،جامعة معسكر، 2017-2018 ،
,
17 محمد دلباز، الحياة السياسية و العسكرية و الاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريفات ترجمة و تحقيق، أطروحة دكتوراه ،اشراف هيلالي حنيفي ،قسم العلوم الإنسانية ،جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ،2014-2014
18 أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الحديث بداية الاحتلال ، الطبعة الثالثة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982
19 ارزقي شويتام ، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519 – 1830 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر، 2005-2006

20 ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792 – 1830 ، ط 2 ، دار البصائر للنشر و التوزيع

21 حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، الجزء الثاني ، تر محمد حجمي و محمد الأخضر ،ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، 1983

22 Joleaud (L) .L 'ancienneté de la fabrication de lhuile d'olive dans l'afrique de nord ,R.AF ,n° 70 ,alger , 1929

23 Venture de paradis ,Alger au 18eme siècle , Adolf jourdan , alger ,1898

24 L,ch feraud , exploitation des foet de la karasta dans la kabylie oriental , sous les turcs ,r af , n° 12, alger